الباب الأول

تعريف المقام[1]

١) « . . . لعلَّ أقدم مصدر ورد فيه ذِكر مصطلح (المقام) كان في حدود ١٣٠٠م . في مخطوطة (دُرَّة التاج في غُرَّة الديباج) - بالفارسية - لقطب الدين محمود الشيرازي (. . .) إلى أن انتشر مصطلح المقام في المدرسة الشرقية في القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري . . . » . علي الشوك «قراءة في كتاب : موسيقى المدينة (١ - ٢) . جريدة (الحياة) ١٩٩٢/٨/٢٣م .

المقام[1] هنا هو **الإطار العام** لما أمكن التوصّل إليه تاريخياً من ثبوت غنائية ليبية ، تباعدت وتوزّعت زمانياً بتباعد وتوزع مناطقها فوق خارطة الوطن . وبعبارة أخرى هو مجمل أصول الأوزان التي تمّ غناؤها في إطار التراث الوطني الغنائي ـ الموسيقي والشعري ـ بإيقاعاتها وأنغامها المختلفة . وبمعنى آخر أيضاً فإن **المقام** هو الوزن «العروض» الشعري المحكوم بأداء (لحني) معيَّن[2] . وعلى الرغم من أن المقام ، في ايجاز ، يمكن أن يكون هو فقط : المساحة النغمية بين قرار وجواب أيٍّ من النغمات . إلاّ أن ما يعنينا هنا ـ في هذه الدراسة ـ هو الجانب الشعري تحديداً ـ المتضمَّن داخل تلك النغمات ـ وذلك كما أشرنا ، وكما سنشيرُ وسنُذكِّرُ لاحقاً ، في بعض المواضع الأخرى ، حيث إن تركيبة النصّ الشعري عندنا ، هي الأكثر أهمية وشمولية ، ولذا كانت هي محطّ هذه الدراسة .

يُطلق لفظ **مقام** ـ كما أشرنا ـ على مفرد وجمع اللحن التراثي ، (الأوزان الشعرية المُغَنّاة) حيث تستوعب ذات **المقام** شتّى الألحان/ القوالب/ الأطباع التراثية ، إضافة إلى تلك التي قد تُكتَشف في فترات لاحقة ، مُعلنة إنتسابها هي الأخرى إلى التراث ، حيث تُضَم بدورها إلى قائمة أوزان **المقام** (من الفروع) ، حسب موقعها في مقام التراث ، وحسب أهليتها ، بعد تزكيّة عدد من رواة أو قُرّاء **المقام** لها ، لتأخذ مكانها الطبيعي في ثبت **المقام** .

وتندرج تحت **المقام** (**الإطار**) الذي نطلق عليه هنا **المقام الليبي** ، شتّى **الفروع** ، التي نطلق على كلٍّ منها لفظ (**مقام**) مقروناً بإسم أو بنوع هذا المقام الفرع . فإذا إعتبرنا مثلاً أن (غناء عَلَمْ) فرع من **المقام** ، فإننا نقول ـ في تعريفه مثلاً ـ : **مقام عَلَمْ . . من المقام الليبي** . وكذا الحال بالنسبة لتعاريف المقامات الأخرى ـ التي سيتكرر ذكرها فيما بعد ـ مثل ضَمْ قَشّه ، بروَل . . . إلخ ، فهذه كلها مقامات ـ فروع ـ تُذكَر بأسمائها المقرونة بلفظ **المقام الليبي** . حيث نقول

---

١) وتعريف المقام في إطار التركيب الموسيقي والأداء هو على النحو التالي : « . . . أولاً : لكل نغم في الأنغام سُلّم خاص ، مركّب من جملة أصوات ، وهذه الأصوات تختلف أحياناً في الهبوط عن الصعود أو بالعكس . ثانياً : لكل نغم قانون بخصوص السير فيه عند الغناء والعزف والتلحين . ثالثاً : لكل نغم قانون عند الإبتداء والإنتهاء . رابعاً : الإنتقال وحُسن التصرُّف . خامساً : التصوير ، أي تصوير نغم في طبقته الأصلية إلى طبقة أخرى . . .» . كتاب : (موسيقى المدينة) إعداد شهرزاد قاسم حسن وعدد من الموسيقيين النظريين والمؤلفين العرب . باريس ١٩٩١م .

٢) في جلسة خاصّة لي في لندن ، مع الفنان العراقي الدكتور سعدي الحديثي بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٩٩م . عرّف المقام ـ إستناداً إلى خلفيّة المقام العراقي المتوفرة لديه ـ بأنه : «هو بناء نغمي ، يرتكز على أحد المقامات الموسيقية ، ويتّخذ شكلاً ثابتاً عبر أدائه المتكرر ، لتصبح له حدوده الغنائية والموسيقية ، ويتّخذ له إسماً معيّناً» .

مثلاً : **مقام ضَمْ قَشَّه . . من المقام الليبي ، ومقام بِروِّل . . من المقام الليبي** . . . وهكذا .

تحمل بعض الألحان أسماء خاصة بها أحياناً مثل لحن (السحْلالي) ،كما تحمل الألحان أحياناً أخرى أسماء أو نعوتاً توضِّح من خلالها إنتسابها لمناطق معيَّنة مثل (المرزقاوي) ـ نسبة إلى منطقة مرزق ـ واللحن أو الإيقاع (النغمي السريع) الذي يُطلق عليه في معظم مناطق ليبيا اسم «الفزّاني» ـ نسبة إلى إقليم فزّان ـ وهو من أوزان «البروِّل» ، سنشير إليه في موضع آخر من هذه الدراسة . ومن الممكن أن يُغنَّى الوزن (الواحد) بألحان مختلفة ، تخضع في درجة التمايز بينها إلى معيار إختلاف المناطق والإيقاع . ويُعدُّ ذلك من ضمن عوامل سعة **المقام** وثرائه . ويرتبط **المقام** بالموسيقى ارتباطا وثيقاً في معظم المناطق الليبية ، أما في البادية بالذات فيرتبط **المقام** غالباً ـ أو في الدرجة الأولى ـ بصوت الإنسان وليس بالموسيقى فقط ، وإن كانت الموسيقى ـ مُمَثَّلة في آلة المقرونة أو الزّكرة بالذات ـ تشارك الإنسان أحياناً ، بعض الضروب الفنية من غنائياته المختلفة .

تغلب التسمية المستندة إلى أصولية شعرية لبعض الأوزان ، في بعض مواضع **المقام** الليبي ، على غيرها من التسميات الأخرى ، مثل أُغنية (أو غنَّاوة) **العَلَمْ** التي تُسمَّى بذلك إستناداً إلى شعر العَلَمْ ، وضَمْ قَشَّه التي سُمِّيَت بذلك إستناداً إلى الوزن الشعري ضَمْ القَشَّه . وكذا الحال مع الطَّقْ (الطقَّيْرَه) والمجرودة والشتّاوَه . . . فهي كلها تعود إلى تسميات مماثلة لتسميات أوزانها الشعرية .